

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

الكُتُب المصنَّفة في اللغة كتابُ العين وقد أَطَبَّقَ الجمهور من أهل اللغة على القَدْح فيه .

وقال السِّيرافي في طبقات النحاة - في ترجمة الخليل : عملَ أوَّـلَ كتاب العين المعروف المشهور الذي به يتهيأ ضبطُ اللغة وهذه العبارةُ من السِّيرافي صريحةٌ في أن الخليلَ لم يُكَمِّلْ كتابَ العين وهو الطَّـاهِرُ لما سيأتي من نَقْلِ كلام الناس في الطَّـعْن فيه بل أكثرُ الناس أنكَرُوا كونه من تصنيف الخليل .

قال بعضهم : ليس كتابُ العين للخليل وإنما هو للـَّـيْث بن زَهْر بن سِيَّار الخُرَّاساني . وقال الأزهري : كان الليثُ رجلاً صالحاً عملَ كتابَ العين ونسبَه إلى الخليل لينْفُق كتابُهُ باسمه ويَرْغَب فيه .

وقال بعضهم : عملَ الخليلُ من كتاب العين قطعةً من أوَّـلِهِ إلى حرف الغين وكَمَّـلَهُ الليث ولهذا لا يُشَبِّهُ أولاهُ آخرُهُ .

وقال ابن المعتز : كان الخليلُ منقطعاً إلى اللَّـيْث فلما صَدَّف كتابه العين خصَّـه به فحطى عنده جدّاً ووقع منه مَوْقِعاً عظيماً ووهَبَ له مائة ألف وأقبل على حفظه ومُلازَمَتِهِ فحفظ منه النِّصْفَ وانْفَقَ أنه اشترى جارية نفيسةً فَغَارَت ابنةُ عمه وقالت : واللَّهِ لأَغِيظَنَّه وإن عَظَّمْتُه في المال لا يُدْبِـلِي ولكني أراه مُكَبَّـلاً ليلاه ونهاره على هذا الكتاب واللَّهِ لأَفْجَعَنَّه به فأحْرَقَتْهُ .

فلما عَـلِمَ اشتدَّ أسفُهُ ولم يكن عند غيره منه نسخةٌ .

وكان الخليلُ قد مات فأمْلأَ النِّصْفَ من حفظه وجمع علماء عصره وأمرهم أن يُكَمِّـلُوهُ على زَمَانِهِ وقال لهم : مَثِّلُوا واجتهدوا فعملوا هذا التَّصْنِيفَ الذي بأيدي الناس .

أَوَّـرَدَ ذلك ياقوت الحموي في مُعْجَم الأدباء .

وقال أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي في كتاب مراتب النحويين : أَبَدَعَ الخليلُ بدائع لم يُسَبِّحْ إليها فمن ذلك تأليفُهُ كلامَ العرب على الحروف في كتابه المُسَمَّـى كتابَ العين فإنه هو الذي رتَّبَ أبوابه وتوفِّيَ من قبل أن يحشوه .

أخبرنا محمد بن يحيى قال : سمعت أحمد بن يحيى ثعلباً يقول : إنما وقَّع